

مخطط البحث

الموضوع

مقدمة

تاريخ تشريح جثة الميت

نظرة الاسلام الى الطب والعلم

الفتاوى الواردة في التشريح

الاستنتاج

مصادر البحث والمراجع

قال تعالى في كتابه المبين « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (1)

1 - القرآن الكريم - سورة الذاريات ، الآية 21 •

المقدمة :

علم التشريح علم من العلوم الاساسية التى لا بد أن يتعلمها طالب الطب لى يتفهم تركيب وتكوين جسم الانسان وعلم وظائف أعضائه وما يصيبها من علة واختلال ، ولا يمكن استيعاب تفاصيل هذا العلم دون تشريح جثة الانسان تشريحا دقيقا كى يشاهد المشرح أجزاء وتراكيب الجسم ، وعلاقة بعضها ببعض ، وأسلوب ارتباطها ومسار شرايينها وأوردها وأعصابها لما فى ذلك من أهمية فى تفهم وظائفها وما يستفاد منه فى تفهم وظائفها وما يستفاد منه فى تشخيص الامراض ، وفى المداخلات الجراحية .

وبانتشار التعليم الطبى ، واتساع نطاق دراسته بين العامة الذين بدأوا يشاهدون بأعينهم لأول مرة تشريح جثة الانسان ، برزت مشكلة شرعية هذا التشريح فقد نظر الانسان منذ القديم بقدسية متناهية الى جسم الانسان الميت ، وعاملها بكل رقة واحترام وتفادى مسها وراح يعتبر تشريحها بيد طالب الطب انتهاكا لهذه القدسية ، وثار الشك فى شرعية هذا التشريح وانتشر بين العامة وبعض الخاصة ، حتى بين رجال الدين ، وصار لزاما علينا أن نبحث هذا الموضوع ونتحرى كل جوانبه ، كى نزيل هذا الشك ونتبين شرعية هذا الاسلوب من التعليم الطبى وواجباته وحرمته .

أسلوب الدرس :

ولا بد لبحث هذا الموضوع من أن نرجع الى تاريخ تشريح جثة الانسان ونظرة الشرائع الاولى اليه ثم موقف الاديان السماوية والشريعة الاسلامية منه وآراء المجتهدين ورجال الدين والفتاوى بصدد ، الى أن نصل الى استخلاص النتائج والادلة التى أباحت التشريح مع البحث عن

أية نصوص [ان وجدت] قالت بتحريمه . بل ومن الواجب أيضا تلمس الأدلة التي تشجع على التعلم الطبى والقرائن التي تبيح التشريح للاغراض العلمية المتعددة ، ذلك لازالة الشك من أذهان المشتغلين بهذا الحقل ، ومن أذهان رجال الدين والعامة والخاصة من الناس .

تاريخ تشريح جثة الميت :

علم التشريح أحد ركائز علم الطب والمعالجة بصورة عامة ، وعلم الجراحة بصورة خاصة . ولقد كان تطور الطب يمثل نضالا مستمرا بين القديم والجديد ، بين الجمود والتقدم ، وبين التدجيل والعلم الصحيح . ولذا فقد كان تقدمه شاقا مضمنا ، لتداخله مع الدين والفلسفة والكهانة والسحر والتنجيم . ولكل ذلك ينبغى أن ينظر اليه باعتباره كائنا ينمو ويتطور ، وعلى أساس أن ما يعرف منه فى زمن ما ، انما يمهد لمزيد من المعرفة فى زمن لاحق ، وما التقدم الذى وصل اليه العالم اليوم ، الا حصيلة تجارب انسانية منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا . . ولذا كان لا بد لنا لى نتفهم جوانب المشكلة التى نحن بصددتها من أن نواكب تطور علم التشريح بصورة خاصة ، وعلم الطب بصورة عامة . فمنذ فجر التاريخ ظهرت الطبابة عند المصريين وتطورت ونمت ، وكان المصريون أول من أجرى عملية تشريح لجثة الميت ، اذ أزالوا أعضائه الداخلية ، ما عدا القلب - الذى كانوا يظنونه مركز الحياة ، وذلك من أجل تحنيطه وحفظه كما يشاهد فى المومياء . وفى مصر نشأ « الطبيب الكاهن » وقد كانت للطب مكانة مهمة فى المجتمع الفرعونى حتى انهم جعلوا « امحتوت » اله الطب عندهم . وقد دون المصريون طبهم هذا على ورق البردى بتفصيل كبير (2) .

ويعتبر البابليون كذلك من أقدم الامم التى عنيت بالعلوم الطبية ، اذ أنهم دونوا هذه العلوم على الاجر القمعى ، وصارت ممارسة الطب عندهم عملية شائعة مما جعل حمورابى (1855 ق.م - 1912 ق.م) يسن قوانين يحدد فيها أجور الاطباء . كما عرف البابليون التحنيط ومارسوه باتقان . وتطور الطب لدى الامم اللاحقة ، حتى وجد الطب الكلدانى والفينيقي والسورى . وتعتبر عملية التحنيط أول عمل تشريحى للميت يقوم به الانسان ، على الرغم من اختلاف أهدافه . فقد كانت عملية

التحنيط تجرى لغير هدف المشاهدة والتمعن والتفكير فى تركيب جسم الانسان وأعضائه ، واستخلاص الملاحظة من ذلك ، وربطها بعلم الطب ، بل كانت لمجرد حفظ جسم الانسان ، لاهداف ومعتقدات دينية بحته .

وقد برع الهنود فى الفترة ذاتها بصورة خاصة فى الجراحة ، رغم أن معرفتهم بعلم التشريح كانت ناقصة (3) .

أما اليهود الاوائل ، فقد ذكر فى التمود - على الرغم من أنه كتاب تعاليم وأنظمة - الكثير من تفاصيل طبهم ، فقد جاء فيه مثلاً ذكر عظمه الـ LUZ وهى العظمة التى تبقى بعد فناء جثة الميت (4) . وقد أخذ اليهود على ما يظهر طبهم عن المصريين والبابليين ، بعدما عاشوا بينهم أجيالا (5) .

أما اليونانيون القدماء ، فقد اشتهروا بالطب الذى وصلهم من مصر وبابل ولم تظهر أية اشارة على أنهم قاموا بالتشريح بأنفسهم . وقد اشتهر منهم ابقراط المعروف بأبى الطب (460 - 370 ق.م) ، واليه يعود الفضل الاعظم والاول فى فصل الطب عن الفلسفة واللاهوت والسحر ، ووضعته على أساس العقل باعتبار المرض حادثا طبيعيا ، وقد وضع ابقراط قانون الآداب الطبية ، وقوانين ممارسة الطب ، ولا يزال خريجوا المدارس الطبية حتى يومنا هذا يقسمون القسم الطبى الذى وضعه ابقراط قبل ممارستهم لمهنتهم الشريفة . وقد ألف ابقراط كتاب « الاجنة » الذى يدل على بعض المشاهدات التشريحية فى الاجنة (6) .

وفى مدرسة الاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، نبغ رجال المدرسة الابقراطية وجعلوا من الاسكندرية مدينة علم يشع منها نور المعرفة الى أقطار المعمورة المعروفة فى تلك الحقبة . وفى ظلال مدرسة الاسكندرية ، تحرر العلماء لأول مرة من التأثير الدينى ، وسمح لهم بالتشريح لجثة الانسان الميت بحرية تامة وبشكل علنى (7) .

-
- 3 - الدكتور أحمد شوكت الشطى ، 1970 ، العرب والطب ، ص 11 .
4 - Douglas Guthrie - A history of Medicine, page W 1 1960 - London.
5 - الدكتور أمين ستعد خير الله ، 1946 ، الطب العربى ، ص 19 .
6 - الدكتور أمين سعد خير الله ، 1946 ، الطب العربى ، ص 19 .
7 - Douglas Guthrie, A history of Medicine, 1960, London, page 63-84.

وكان متحف الاسكندرية أصدق دليل على ذلك ، وقد اهتم البطالسة ، حكام الاسكندرية بالطب والتشريح ، فكان هذا هو العهد الذهني لعلم التشريح ، اذ كان هيروفيليس أول من قام بتشريح جسم الانسان الميت بطريقة منتظمة ودقيقة ، وكان كلما درس عضوا في جسم الانسان يعطيه اسما خاصا به . فهو أول من سمى الكثير من أعضاء جسم الانسان ، وتبع هيروفيليس ، العالم ارستطراطس ، الذى قام بتشريح أجسام المرضى بعد وفاتهم . وهو أول من أوجد تشريح المرضى للوقوف على أسباب المرض . كما أنه شرح أجسام بعض الحيوانات ووقف على علم التشريح المقارن . وقد ذكر العالم (Celsus) فى كتاب الطب (8) وهو عالم جاء بعد ارستطراطس أن من سبقوه من العلماء قد أجروا تجاربهم على الاحياء من البشر ليعرفوا وظائف الاعضاء أثناء الحياة . وكانت مثل هذه التجارب تجرى على المجرمين ، من المحكوم عليهم بالاعدام .

ثم جاء دور العالم الطبيب جالينوس ، الذى درس على المدرسة الابقراطية بالاسكندرية! ونقل الكثير من مؤلفات ابقراط ، ومؤلفات هيروفيليس واستطراطس وجدها وشرحها . وفى عهده (131 - 200 م) بدأ رجال الديانة المسيحية يحرمون تشريح جثة الميت لما لها من القدسية ، فاعتمد جالينوس على تشريح الحيوانات القريبة من الانسان كالقرد ، وهو أول من استطاع أن يميز بين أعصاب الحس وأعصاب الحركة ، ومنه استمد المسلمون جزءا كبيرا من معارفهم الطبية عندما قاموا بترجمة كتبه (9) وبعد ذلك العهد تضاءلت عمليات تشريح جسم الميت وراح الاطباء يعتمدوا على التراث المتوارث وتشريح جثث الحيوانات (10) .

أما فى بلاد العرب فلا توجد أية اشارة الى أن العرب قاموا بالتشريح بأنفسهم ، فقد كان الطب فى الجاهلية محصورا فى العرافين والسحرة ، وقائما على التعاويذ والطلاسم والذابح حول الكعبة ولم يصلهم طب الاسكندرية (11) .

8 - Douglas Guthrie, A history of Medicine, page 63-84 - London.

9 - Douglas Guthrie, A history of Medicine, page 63-84 - London.

01 - Douglas Guthrie, A history of Medicine, page 63-84.

11 - الدكتور أحمد شوكت الشطى ، 1970 ، العرب والطب ، ص 31 - 33 .
منشورات وزارة الثقافة السورية .

أما بعد ظهور الاسلام ، فقد كان الطب غالبا فى أيدي بعض الذين تخرجوا من مدرسة جنديسابور ، وأشهرهم الحارث بن كلده وولده النضر ، وعندما دخل الاسلام الى سوريا والعراق كان الجو فيهما مهيباً لنقل العلوم اليونانية والفارسية الى العالم الاسلامى . فقد كانت مدارس الرها (أثينا الشرق) . . . وجنديسابور مراكز اشعاع للعلم والطب ، وامتدادا لمدرسة الاسكندرية وانطاكية .

وقد أسس النساطرة كذلك مدارس نصيبين وقنسرين بعد فرارهم من انطاكية لاتهامهم بالهرطقة . ومن الاسر التي ارتبطت بمهنة الطب أسر بختيشوع وحيين وماسوية وسلموية والطيفورى وغيرهما . وقد نقل المسلمون علوم من سبقهم من الامم ، تساعدهم فى ذلك معرفة النساطرة للغة السريانية واليونانية وكانت لغتى الطب والعلم فى ذلك الزمن ، وقاموا بتطويرها وتصحيحها والزيادة عليها .

وقد نبغ الكثير من الاطباء المسلمين فى هذه الحقبة ، كابن النفيس وابن الهيثم والرازى وابن سينا وغيرهم (12) .

ولو توسعنا ودققنا فى دراسة الطب العربى ، لعثرنا على اكتشافات عديدة لهم فى التشريح . وعلى ما يظهر ، فان الاطباء المسلمين لم يكونوا يجرؤون على التصريح بقيامهم بعمليات التشريح رهبة من مس الميت . وبالرغم من ذلك وفى أحيان كثيرة نجد فى الكتابات الطبية العربية نصوصا كهذه « ان التشريح يكذب ما ذكر فلان » ، « ان التشريح يبرهن كذا وكذا » مما يدل على أنهم قاموا ببعض التشريح ، ولكن لم يمكنهم المجاهرة به . فابن رشد الاندلسى كان يقول « ان من يقوم بالتشريح يتقرب الى الله » وان من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا (13) .

وبالرغم من هذا ، لم نجد اشارة بتكفير أحد الاطباء الذين يقومون بالتشريح ولم نجد فى تاريخ العرب من حكم عليه بالزندقة والكفر لقيامه بالتشريح أو التشجيع عليه . وقد أشار أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوى فى كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » الى أهمية درس

12 - Douglas Guthrie, A history of Medicine, 1960, page 84.

13 - د . أمين سعد خيرالله ، 1946 ، الطب العربى ، ص 170 . المطبعة الاميركية - بيروت .

التشريح ونصح القيام به عند درس الجراحة (14) . ومن يطالع الكتاب لا بد أن يعتقد بأنه قد شرح الجثث هو نفسه لان وصفه الدقيق لاجراء العمليات المختلفة لا يمكن أن يكون نتيجة الدراسة النظرية فقط . كما انه قال « بضرورة تشريح الاجسام بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة للانتفاع بهذه النتائج فى الاحوال المماثلة » (15) .

أما فى أوروبا ، فقد مات علم التشريح نظرا لان رجال الديانة المسيحية كانوا يعارضون تشريح الميت (16) .

وبقيت الحال على هذا المنوال ، حتى استطاع مندينوس (1275 - 1326) بنفوذه أن يقنع حاكم بولونيا بالتشريح ، فكانت تجرى عمليات التشريح على جثث المجرمين تحت رعاية الحاكم وحمايته وإشرافه . ومنذ ذلك الوقت وضع منهج علم التشريح فى مناهج كليات الطب ، ولذلك سمى مندينوس « مجدد وباعث علم التشريح » بعد فترة اندثاره منذ عهد مدرسة الاسكندرية مرورا بالقرون الوسطى حيث أن علم التشريح والطب بقى بين تقدم وتأخر وركود نظرا لتداخله مع أمور الدين والكهانة والفلسفة (17) .

14 - ابن أبى اصبيعه ، 1965 ، عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، ص 501 ، مطبعة دار الحياة - بيروت .

15 - الدكتور أمين سعد خير الله ، 1946 ، الطب العربى ، ص 173 - 174 ، المطبعة الاميركية - بيروت .

16 - Douglas Guthrie, 1960, A history of Medicine, page 84.

17 - Douglas Guthrie, 1960, A history of Medicine, page 122.

نظرة الاسلام الى الطب والعلم

دعا الاسلام الى معرفة العلوم العقائدية والكونية كافة اذ قال الله تعالى : «اقرأ باسم ربك الذى خلق» الى قوله « علم الانسان ما لم يعلم » (18) . « قل انظروا ما فى السموات والارض » (19) . « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (20) . وقال رسول الله ﷺ « اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم (21) » .

وقد جعل الاسلام التفاضل بين الافراد والشعوب على أساسين : أحدهما داخلى ، ويتعلق بالروح وهو التقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (22) ، وآخر ظاهرى ، وهو العلم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (23) . ومن هذا المنطلق ، أسهم المسلمون الاوائل بنصيب وافر فى النهضة العلمية والحضارة الانسانية منذ فجر الاسلام حتى نهاية القرن السادس عشر للميلاد . وقد استمد المسلمون من القرآن الكريم والسنة النبوية رافدا يحثهم دائما على اكتساب العلم ، وقد كانت علوم الامم التى سبقتهم وخاصة اليونان - مدرسة الاسكندرية والرها - ومدرسة جند يسابور والمدارس الاخرى رافدا ثانيا .

قام المسلمون الاوائل بدراسة هذا التراث العلمى بعد أن نقلوه الى

-
- 18 - القرآن الكريم ، سورة العلق ، آية 1 - 5 .
 - 19 - القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية 101 .
 - 20 - القرآن الكريم ، سورة الذاريات ، آية 21 .
 - 21 - العجلونى ، 1351 هـ . كشف الخفاء ومزيل الالباس ، الجزء الاول ص 138 ، دار احياء التراث العربى - بيروت .
 - 22 - القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، آية 13 .
 - 23 - القرآن الكريم ، سورة الزمر ، آية 9 .

العربية وقاموا بفحصه وتطويره وإضافة الشيء الكثير اليه ، اذ أنهم خالفوا بعضه واثبتوا بعضاً آخر وأضافوا اليه شيئاً جديداً . وقد ازدهرت المدرسة الفكرية والعلمية والطبية في بغداد ، بعد أن بقيت زمناً في جند يسابور ، ثم انتقلت من بغداد الى المغرب العربي ، فنشأت مدارس سالرنو والانجلس ، فكانت هذه المدارس الجسر الذي مرت عليه العلوم الى أوروبا وساعدتها في نهضتها الحديثة ، اذ قام الغرب باعادة ترجمة الكتب العربية الطبية الى لغاتهم مما كان له أثره في النهضة الأوروبية ، وقد بدأ المسلمون بحوثهم العلمية والطبية بصورة موضوعية ادت الى تنقية ما وصل اليهم من علماء اليونان وإضافة الكثير من العلوم المختلفة ومنها الطب والتشريح . وكان ابن النفيس أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، وكان ابن الهيثم ممن برعوا في تشريح العين والبصريات (24) . وكذلك برع غيرهم في فنون طبية مختلفة . وقد كان للأطباء مناهج خاصة تدرس لهم ، ورئيس يمتحنهم ويجيز القادر منهم ، اذ أن عدد الأطباء في بغداد وحدها بلغ في عهد المقتدر بالله ثمانماية وستين طبيباً ، كانت تجري لهم امتحانات دورية سنوية حتى يبقى مستوى الطب والمعالجة جيداً ، ولكي يحافظ الطبيب على مستواه بعد التخرج (25) . ومن هذا الاستنتاج ان هذا التطور في علم الطب لا بد رافقه تطور مواز في علم التشريح ، لان الطب لا يمكن أن يتطور دون فهم للتشريح ولوظائف الاعضاء .

ولم يكتف العالم المسلم بنقل ما قرأه من جالينوس وغيره عن هذا العلم بل قام هو نفسه بأعمال التشريح كما ورد في « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوى .

أغراض التشريح :

ومع نشوء كليات الطب في العالم الاسلامى فى العصر الحديث لتعليم الطب والمعالجة برزت الحاجة الى تشريح جسم الانسان الميت للاغراض التالية :

24 - الدكتور أحمد شوكت الشطى ، 1970 ، العرب والطب ، ص 790 ، 902 ، منشورات وزارة الثقافة - دمشق .

25 - ابن أبى أصيبعة ، 1965 ، عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، ص 550 ، مطبعة دار الحياة - بيروت .

قدري طوقان ، 1967 ، العلوم عند العرب والمسلمين ، ص 18 - مطابع المكتب الاسلامى - الاقصى - عمان .

1 - التشريح لاغراض تعليم طلبة الطب فى كليات الطب . والهدف من هذا التشريح هو تعريف طالب الطب بتركيب جسم الانسان ، ليتفهم وظائفه وأقسامه وليتدرب على استعمال أدوات الجراحة ، ليقوم بعد ذلك باجراء العمليات الجراحية للاحياء بعد أن يتمكن من معرفة جسم الانسان وتركيبه .

2 - تشريح الحالات المرضية الغامضة ، لمعرفة مدى العلاقة بين الاعراض والعلامات والتشخيص قبل الوفاة من جهة ، وبين ما يكشف عنه التشريح من جهة أخرى من الاسباب الحقيقية للوفاة . ويعتبر التشريح المرضى ساحة محكمة يتم فيها الكشف عن السبب الحقيقى للوفاة . وبهذه الطريقة تتقدم علوم الطب وتكتشف الامراض غير المعروفة . وتقاس مستويات رقى المستشفيات فى الوقت الحاضر بعدد حالات التشريح المرضى الذى يتم فيها .

3 - تشريح حالات الوفيات القضائية ، وهى الوفيات الناتجة عن القتل بمختلف وسائله أو الموت بأسباب مجهولة باعثة على الشبهة . والهدف من هذا التشريح هو أيضا معرفة السبب الحقيقى . اذ كثيرا ما يكون سبب الوفاة الظاهرى مخالفا لسبب الوفاة الحقيقى ، ومثال ذلك أن يخنق انسان شخصا آخر ثم يلقيه فى الماء . فالسبب الظاهرى هو الغرق ، ولكن السبب الحقيقى هو الخنق . . ومثال آخر : ما يجرى فى حوادث تصادم السيارات فقد يصاب أحد السائقين بجلطة دموية مميتة فى القلب ، ينتج عنها انحراف السيارة وتدهورها ، أو اصطدامها مع سيارة أخرى فسبب الوفاة الظاهرى هنا هو حادث السيارة ولكن السبب الحقيقى هو الجلطة الدموية ، وكثيرا ما أنقذا مثل هذا النوع من التشريح حياة أشخاص أبرياء وأدان أناسا آخرين .

4 - تشريح الجثث لاغراض الانتفاع بأعضائها لمصلحة أحياء ، كما يتم ذلك بأخذ كلية أو عين أو قلب لزرعها فى انسان تعتمد حياته على بعض هذه الاجزاء ، ويتم التشريح فى مثل هذه الحالة مباشرة بعد الموت وتحفظ الاعضاء التى يمكن نقلها الى أشخاص آخرين ، لحين زرعها فى الشخص المصاب . والهدف من هذا النوع من التشريح ، هو الابقاء على الحياة الانسانية ، وفى جميع الحالات الموردة آنفا ، يكون التشريح أساسا هاما لتعلم مواقع هذه الاعضاء وحدودها وعلاقاتها وما يمر بها من أوردة وشرابين وأعصاب وما يرتبط بها

من أعضاء أخرى ، وكلها أمور تقتضى معرفة دقيقة بعلم التشريح وتفصيله ، ليكون المدخل الاول لتعلم الجراحة فى الاحياء ونقل الاعضاء ، وتفهم علم الامراض والانسجة المرضية واكتشاف أسباب الوفاة فى الحوادث والجرائم . وقد ظهرت بعض الاعتراضات والمقاومة من الكثيرين فى عصور مختلفة لتشريح جثة الميت ، فاتجه العلماء الى أهل الفقه لاستفتائهم فى شرعية التشريح ، لعدم ورود أى نص فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة بتحريم التشريح أو اباحته ، وللرهبة التى ترافق مس جسم الميت ناهيك عن تشريحه . كما انه لم يظهر بحث مستقل فى كتب الفقه الاسلامى فى موضوع التشريح . ولكن بالرغم من عدم وجود نصوص تشريعية تحرمه ، الا أن هناك نصوصا تبيحه وردت على شكل فتاوى فى جزئيات ، كشق بطن من ماتت وولدها حى ، وشق بطن لآخراج مال أو جواهر كان الميت قد ابتلعها (26) .

الفتاوى الواردة فى التشريح :

لم يرد كما أسلفنا نص بالتحريم أو الاباحة فى تشريح جثة الانسان بعد وفاته وذلك لان دراسة علم التشريح لم تكن شائعة أو أمرا ملحا ومطلوبا فى عهد النبى ﷺ ، أو عند فقهاء الاسلام ولذلك لم ينقل عنهم فى ذلك حكم خاص .

وقد أفتى علماء وفقهاء المذاهب الاربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة بعدئذ باجازه تشريح امرأة ميتة ، لآخراج مولودها الحى فى بطنها ، أو لآخراج مال ابتلعه الميت ، الى غير ذلك من المسائل التى ذكرت فى كتبهم المعتمدة ومن ذلك ما يلى :

١ - جاء فى كتاب « رد المحتار على الدرر المختار » (27) وهو من الكتب الحنفية المعتمدة - « حامل ماتت وولدها حى (يضطرب)

26 - النووى 1344 هـ . المجموع شرح المذهب - الجزء الخامس ، ص 266 - مطبعة الامام - القاهرة .

27 - ابن عابدين ، 1372 هـ . رد المحتار على درر المختار - الجزء الاول ، ص 602 دار الطباعة المصرية - القاهرة .

الخرشى ، شرح الخرشى لكتاب « خليل » الجزء الثانى ص 49 (ب . ت) .

أى فى بطنها ، يشق بطنها ويخرج ولدها . ولو كان الامر بالعكس وخيف على الام من الهلاك ، قطع أى الجنين ، وأخرج ميتا . ولو بلع مال غيره ومات . هل يشق أم لا ؟ فى ذلك قولان ، والاكثرية فى هذا المذهب تجيب بنعم .

ب - جاء فى متن « خليل » وهو من الكتب المالكية ، وفى باب الجنائز قوله « بقر عن مال كثر ، ولو ثبت بالبينة » . قال الخرشي فى شرحه : البقر عبارة عن شق جوف الميت ، يعنى أنه ابتلع مالا له أو لغيره ثم مات فانه يشق جوفه فيخرج منه ان كان ذا قدر وبال . ثم أورد شق بطن الحامل التى ماتت وفى بطنها جنين حى واجازه فقهاء المذهب المالكى له .

ج - وجاء فى شرح المذهب كتاب المجموع للامم النووى (28) وهو من كتب الشافعية المعتمدة قوله « وان ابتلع الميت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها يشق جوفه وترد الجوهرة » وقوله « وان ماتت امرأة وفى جوفها جنين حى ، يشق بطنها لانه استبقاء حى باتلاف جزء من الميت فاشبه اذا اضطر لاكل جزء من الميت » .

د - وقال صاحب المغنى ، موفق ابن قدامه الحنبلى (29) وان بلع الميت مالا فان كان يسيرا ترك وان كان كثير القيمة ، شق بطنه واخرج ، لان فيه حفظ المال من الضياع ونفع الورثة الذين يتعلق حقهم بماله وبمرضه أى بمرض موته .

ه - وممن أفتى بجواز التشريح للاغراض المذكورة من علماء عصرنا الحديث العلامة الشيخ يوسف الدجوى فى مجلة الازهر (30) (31) (32) . الا أن الشيخ يوسف الدجوى حين أجاز التشريح قيده بما يلى :

-
- 28 - النووى 1344 هـ . المجموع شرح المذهب - الجزء الخامس ، ص 266 ، مطبعة الامام - القاهرة .
- 29 - ابن قدامه 1346 هـ . المغنى والشرح الكبير - الجزء الثانى ، ص 413 - 414 ، الطبعة الثانية - مطبعة المنار ، القاهرة .
- 30 - يوسف الدجوى ، 1354 هـ . مجلة الازهر - المجلد السادس ، ص 472 ، 577 ، 627 ، مطبعة المعهد الدينى الاسلامى - القاهرة .
- 31 - يوسف الدجوى ، 1355 هـ . مجلة الازهر ، المجلد السابع ، ص 32 .
- 32 - يوسف الدجوى ، 1357 ، مجلة الازهر - المجلد التاسع ، ص 467 - مطبعة الازهر - القاهرة .

- 1 - موافقة الميت قبل وفاته .
- 2 - موافقة أهله وذويه إذا لم يكن قد وافق على ذلك أثناء حياته .
- 3 - أن يتم التشريح دون كسب مادي للمتوفى ودون قصد الربح لأهل المتوفى .
- 4 - الضرورة وهى علة الحكم الذى يدور معها وجودا أو عدما .
- 5 - أما اذا كان التشريح لكشف جريمة فيمكن تجاوز ارادة الميت أو ذويه .

ان هذه الفتوى تفى بكثير من الاغراض ولكن من المهم مناقشة موضوع الحصول على موافقة الميت أو ذويه سلفا ، قبل جواز التشريح .
ففى كثير من الحالات يمتنع الاهل أو المتوفى قبل وفاته عن اعطاء مثل هذه الموافقة ، وقد يكون ذلك عائقا كبيرا فى كشف كثير من الامراض والحالات المعقدة . وفى مثل هذه الامور نرى تجاوز هذا الشرط كما تجاوزناه فى حالات التشريح لكشف الجريمة .

و - لا توجد أية نصوص فى كل الكتب المقدسة والكتب اللاهوتية فى الديانة المسيحية تشير من قريب أو بعيد الى تحريم تشريح جثة الانسان للاغراض العلمية (33) .

ز - لا توجد أية نصوص فى الديانة اليهودية تحرم تشريح جثة الانسان للاغراض العلمية (34) (35) .

المناقشة :

يتضح مما سبق أنه لم يرد فى الديانة السماوية [اليهودية والنصرانية والاسلام] أى نص صريح بتحريم تشريح جثة الميت بعد الوفاة (36) (37) (38) . ولكن وردت نصوص صريحة باحترام وتقديس

-
- 33 - المطران نعمه السمعان ، (مطران اللاتين فى الاردن) - اتصال شخصى .
34 - Encyclopedia Judaica 1972 Vol 2 page 930. Vol. 3 page 931.
35 - Under Anatomy, Autopsy and Jerusalem Dissection.
36 - Colliers Encyclopedia 1965 Vol. III page 354, Under Anatomy 1965.
37 - Encyclopedia Britanica, 1972, Vol. II page 585. Under Anatomy.
38 - Eucyclopedia Judica, 1972, Vol. 2, page 930, Vol. 2 page 331.

جثة الميت كاحترامها فى حياته وعدم التمثيل بها وعدم اهانتها والمساس بها حيث كرم الله بنى آدم « ولقد كرمنا بنى آدم » (39) .

وجاء فى الحديث الشريف : « اياكم والمثلة ، ولو بالكلب العقور » (40) . « كسر عظم الميت ككسر عظم الحى » (41) .

أما ما نحن بصددده من أغراض تشرح جثة الميت تختلف كثيرا عن معنى التمثيل بالميت وهو التنكيل والاقتصاص أو التشهير بالميت أو القتل ، وما أبعد ما بين دراسة جثة الميت ، وتعظيم خلق البارئ ، وبين التمثيل والاستهانة والامتهان ، اذ أن المقصود من عملية التشريح لجثة الميت هو تكريم الانسان والتأكيد على عظمة خلق الله له ، بل هو امتداد لفهم الايمان بالله للأسباب التالية :

1 - فهم تركيب جسم الانسان ، وربط هذا التركيب بوظائف الاعضاء ، وقد قال ابن رشد العالم الفيلسوف : « من يعمل بالتشريح يزداد ايمانا » (42) .

2 - المحافظة على بنى الانسان من الاوبئة والامراض التى تفتك بهم فى هذه الحياة ، وذلك بدراسة حقيقية لأسباب الامراض التى يمكن أن تؤثر على حياة الانسان ، ولا يمكن أن يتم كل ذلك الا عن طريق دراسة المرض فى أعضاء الانسان وتشرحها وخاصة الامراض الوراثية .

قد يتشابه عملان ظاهريا ، ولكن أحد العاملين يعاقب عليه فاعله وينكر عليه ذلك فى حين يثاب على الآخر ويعتبر طاعة الله - فعلية السجود الواحدة تكون كفرا اذا كانت لصنم ، وتقربا وعبادة اذا كانت لله . وفى

39 - القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، آية 17 .
40 - صحيح البخارى ، 1970 ، الجزء الثالث ، ص 178 - دار مطابع الشعب القاهرة .

41 - ابن حمزة الحسنى ، 1329 هـ . البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الجزء الاول ، ص 342 - مطبعة البهاء - حلب .

42 - د . أحمد عيسى بك - 1951 ، الماثور من كلام الاطباء ، ص 64 ، القاهرة .

الحديث الشريف « انما الاعمال بالنيات ، انما لكل امرىء ما نوى » (43) فلاصل فى العمل اذا هو النية .

ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . لان تعلم الطب واجب ، ولا يتم هذا الا بتعلم علم التشريح ، وهو علم تركيب جسم الانسان الذى يساعد على تفهم وظائف أعضائه ، وهذا لا يتم الا بالتشريح لجسم الميت . كما ان الكشف عن مرض غامض يكون له انعكاسات سيئة على الاحياء لا يتم الا بتشريح الميت ومعرفة السبب الحقيقى . هذا بالاضافة الى كشف الجرائم الغامضة وأسباب الوفاة فى مثل هذه الحالات ، وهنا نتساءل : هل هناك من بديل ؟ ؟

قد يقال أن تشريح الحيوانات يغنى عن تشريح جسم الانسان ، خاصة ان من الحيوانات ما هو قريب فى تركيبه من تركيب جسم الانسان . الا أن كل من عمل فى الطب أدرك أن تشريح الحيوانات لا يغنى عن تشريح جثة الانسان مطلقا لاختلاف تفاصيل تركيب أعضائهما مع أن ذلك يفيد كثيرا فى علم التشريح المقارن لاستخدامه وسيلة لفهم وظائف أعضاء الجسم وأجهزته كما يساعد على فهم مميزات الانسان عن الحيوان ، وكيف أن الله عز وجل كرم بنى الانسان .

وقد يحاج بعضهم بامكان استخدام نماذج جسم الانسان البلاستيكية لاغراض تعليم التشريح ، فقد صنعت شركة نماذج لذلك تكلف حوالى 30000 دولار ، الا أن تركيب جسم الانسان لا تضاهيه أية صناعة لا سيما فى علائق وتنظيم وظائفه المختلفة وارتباطات أعضائه بوظائفها المتعددة والتنسيق القائم بين هذه الاعضاء كمجموعة . « صنع الله الذى أتقن كل شىء » (44) . هذا بالاضافة الى أن عملية التشريح ، تعلم الطبيب كيف يحسن استعمال آلات الجراحة ، وكيف يتقن فن الجراحة فى المستقبل لانقاذ حياة الانسان ، أو انقاذ عضو من أعضائه . وحتى لو افترضنا جدلا امكان ابدال تشريح جسم الميت بالنماذج البلاستيكية فهى لا تحل الا جزءا من المشكلة .

43 - العجلونى ، 1351 هـ . كشف الخفاء ومزيل الالباس ، ص 11 . الطبعة الثانية ، بيروت .

44 - القرآن الكريم ، سورة النمل ، آية 8 .

كما انه لا يقبل القول بأن ثمة أدلة ضعيفة تعارض جواز التشريح لجسم الميت أو نقل عضو من أعضائه كي ينتفع به ، بحجة أن الشريعة الإسلامية كرمت آدمى وحثت على اكرامه وأمرت بعدم ايدائه . ومن هذه قوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم » (45) . وقول النبي ﷺ فيما رواه أبو داود على شرح مسلم والنسائي عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بسند صحيح « كسر عظم الميت ككسر عظم الحى » (46) يغنى فى الحرمة ، وقوله أيضا فيما أخرجه ابن أبى شيبه عن أبى مسعود اذ قال « اذى المؤمن فى موته كأذاه فى حياته » (47) وذلك لان المقصود من الآية الكريمة والحديثين الشريفين هو تكريم جثة الميت وعدم اهانتها أو التمثيل بها ، كما يدل على ذلك سبب ورود حديث النبي عليه الصلاة والسلام عن كسر عظم الميت ، فان النبي ﷺ رأى حفارا يكسر عظاما لميت بلا سبب مشروع ، فحذره بنص الحديث الموردا آنفا . أما ما نحن بصدده فلا يقصد به بأى حال من الاحوال الاهانة ، وانما يقصد به انقاذ حياة انسان أو سلامة عضو فيه ، أو تعلم أسباب الوفاة للوقاية من الامراض التى أدت اليها ، أو كشف جريمة أو حفظ حقوق أو التفكير فى اتقان الله صنع هذا الجسم العجيب ، بل ان هذا المقصد يحمل معنى التكريم لا الايذاء . وبهذا الفهم الواعى أجاز العلماء السابقون تشريح جثة الميت لغرض مشروع ، وفى كل هذا نجد كيف يرجح فقهاء الاسلام مصلحة الاحياء على ما يسمى كرامة الميت . ولذا أبيض شق جوف الميت من أجل مصلحة فرد من الناس ، وفى حالة اخراج الجنين . فاذا كانت مصالح الالوف والملايين من الناس لا تتحقق الا بالتشريح لاكتشاف أسباب المرض ، وبالتالي معرفة الدواء الشافى الا يرتفع ذلك من درجة المباح الى درجة الواجب ؟ لقد أجاز العلماء نبش قبر الميت وفتح بطنه لاستخراج مال أو جواهر كان قد ابتلعها أثناء حياته محافظة على حقوق افراد قلائل وتكريما لهم ، ولم يعتبروها امتهانا وايذاء للميت كما أجازوا فتح بطن الوالدة الميتة - على ما للانثى من حرمة - لاستخراج جنين تجاوز السبعة أشهر ، بل ان العلماء أجازوا اسقاط الجنين حفاظا على حياة الام المفردة - ان كان فى وجوده خطرا على حياتها . واعتبر العلماء أن حياة الام حقيقة قائمة ، ولكن حياة الجنين لا تزال غير قائمة . فان أجزى تشريح الجسم للحفاظ على حياة فرد

45 - القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، الآية 70 .

46 - فيصل المولوى ، مجلة الشهاب 1975 ، ص 16 ، السنة الثامنة ، العدد 23 .

47 - نفس المصدر السابق .

واحد ، أفلا يجوز تشريح جثة الميت للحفاظ على أرواح الالاف بل الملايين أحيانا (48) (49) .

حفظ الكليات الخمس واجب شرعا عند العلماء ومن ذلك حفظ النفس بانقاذ حياة انسان أو سلامة عضو من أعضائه بنقله من ميت أو حي والنصوص الشرعية كثيرة فى ذلك :

- أ - ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب (50) .
- ب - الضرورات تبيح المحضورات (51) .
- ج - الضرورة تقدر بقدرها (52) .
- د - المشقة توجب التيسير ولا ينكر ارتكاب أخف الضررين (53) .

وكما أن واجب رجال الدين والفقهاء أن يمنعوا التشريح للتمثيل والايذاء لجثة الميت فان من واجبهم أن يصروا على حالات التشريح عندما يكون هناك ضرورة وفائدة للحفاظ على أرواح الالاف من بنى الانسان (54) .

ان المعارضة لتشريح الميت تأتى عادة من غير المتعلمين وغير الواعين لقضايا المجتمع الطبية . وهذه المعارضة مبنية على العواطف والفظرات البدائية . يقول ثيوفيل بينيت : « عندما تكون أسباب المرض مبهمة ، تصبح المعارضة فى تشريح جثة الانسان التى ستكون طعاما للديدان قضية تسىء الى الامة ، لا بل الى الجنس البشرى ، .لانه يمكن اكتشاف مرض ينقذ منه آخرون » (55) .

48 - فيصل المولوى ، مجلة الشهاب ، 1975 ، ص 16 ، السنة الثامنة ، العدد 23 .

49 - فيصل المولوى ، مجلة الشهاب 1975 ، ص 16 ، السنة التاسعة ، العدد 3 .

50 - مجلة الاحكام العدلية ، الطبعة الخامسة ، 1968 ، ص 18 ، مادة 21 .

51 - مجلة الاحكام العدلية ، الطبعة الخامسة ، 1968 ، ص 18 ، مادة 22 .

52 - مجلة الاحكام العدلية ، الطبعة الخامسة ، 1968 ، ص 18 ، مادة 17 .

53 - مجلة الاحكام العدلية ، الطبعة الخامسة ، 1968 ، ص 18 ، مادة 18 .

54 - Eucyclopedia Judica, Jerusalem, 1972, Under Anatomy Autopsy - Vol. II page 930. Vol. III, page 931.

55 - Collier Encyclopedia, Vol. III, page 354, 1965, Crowell. Collier Publish. Co. England.

الاستنتاج :

- 1 - لم يرد نص تحريم للتشريح فى أية ديانة سماوية .
- 2 - كل ما جاء فى هذه الديانات هو تكريم الانسان والمحافظة عليه حيا واحترام جثته ميتا وعدم التمثيل بها .
- 3 - عملية تشريح جثة الميت للاغراض السابقة هى تكريم لبنى الانسان ومحافظة على روح الانسان وحقوقه واستمراريته وبعيدة عن التمثيل والايداء والامتهان .
- 4 - اجاز العلماء نبش قبر الميت وفتح بطنه لاستخراج مال أو جواهر كان قد ابتلعها ، ولم يعتبروا ذلك امتهانا أو ايداء له على الرغم من مشاق هذا العمل وما يرافقه من متاعب جسيمة ونفسية . ومع ذلك فان الشرع وقف الوقفة الصحيحة ليقول ان هذا ليس من باب امتهان كرامة الميت أو التمثيل به .
- 5 - يجب أن يتم التشريح بضرورة ، اذ بانتفاء هذه الضرورة ينتفى وجود التشريح والضرورة تقدر بقدرها .
- 6 - يجب أن يقوم بالتشريح أناس مختصون فى علومهم كاختصاص علم التشريح وعلم التشريح المرضى والاطباء الشرعيين .
- 7 - يجب أن تعامل جثة الميت بنفس الاحترام والتقديس والتكريم الذى قرره البارى سبحانه وتعالى للانسان أثناء حياته .
- 8 - يجب أن يتم دفن ما يشرح من الجثة وبقايا ما بعد التشريح بالطرق المتبعة المشروعة . وفى هذه الظروف وبهذا الفهم الدقيق يمكن أن يقال أن تشريح جثة الميت جائز من الوجهة الشرعية اذا وجدت الضرورة . وفى هذه الحالة ، يجب التقيد بالمعانى الروحية والاخلاق الانسانية والمحافظة على شعور ذوى المتوفى وكرامتهم والمحافظة على كرامة الميت .
- 9 - يقول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام « اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة : الا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو

ولد صالح يدعو له » (56) . واعتقد أن المؤمن الذي وهب جثته بعد موته لأغراض تعليم الطب ، قد عمل عملاً يتضمنه هذا الحديث الشريف فهو صدقة جارية ، من جهة ، بل هو أيضاً من باب العلم النافع لأنه يضيف إلى معرفة الإنسان معرفة وعلماً جديدين يستفيد منهما الأحياء .

56 - الحافظ المنذرى ، 1389 هـ . مختصر صحيح مسلم ، ص 24 ، الجزء الثانى ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت .

مصادر البحث والمراجع

مرتبة حسب الحروف الابدجية

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - ابن أبى أصيبعة ، 1965 - عيون الانباء فى طبقات الاطباء - شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ، ص 170 ، مطبعة دار مكتبة الحياة - بيروت .
- 3 - ابن حمزه الحسنى ، 1329هـ . - البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الجزء الاول ، ص 242 ، مطبعة البهاء - حلب .
- 4 - ابن سينا - القانون فى الطب - الجزء الاول ، ص 25 - 65 ، مكتبة المتنبي - بغداد .
- 5 - ابن عابدين - 1372 هـ . - رد المختار على الدرر المختار - الجزء الاول - ص 602 - دار الطباعة المصرية - القاهرة .
- 6 - ابن قدامه - 1346 هـ . المغنى والشرح الكبير - الجزء الثانى ، ص 413 - 414 الطبعة الثانية - مطبعة المنار - القاهرة .
- 7 - ابن القيم الجوزيه ، 1957 - الطب النبوى - دار الحياة للكتب العربية .
- 8 - الدكتور احمد شوكت الشطى ، 1970 - العرب والطب - منشورات وزارة الثقافة - دمشق .
- 9 - د . احمد عيسى ، 1951 ، الماثور من قول الاطباء - مطبعة جامعة فؤاد الاول .
- 10 - د . احمد عيسى ، 1942 - معجم الاطباء - الطبعة الاولى ، مطبعة فتح الله الياس نوري - القاهرة .
- 11 - د . أمين سعد خير الله - 1946 - الطب العربى - المطبعة الاميركية - بيروت .

- 12 - الحافظ المنذرى ، 1389 هـ . - مختصر صحيح مسلم - الجزء الثانى ، ص 23
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - الكويت .
- 13 - د . حسن كمال ، 1975 ، موسوعة الطب الاسلامى - دار الكتاب المصرى
القاهرة .
- 14 - د . خالص الحلبى ، 1971 - الطب محراب الايمان - الجزء الاول والثانى -
مؤسسة الرسالة - بيروت .
- 15 - الخرشى ، شرح الخرشى لكتاب « خليل » الجزء الثانى ص 49 ، (ب . ت) .
- 16 - الرازى ، 1955 ، الحاوى الكبير فى الطب - الطبعة الاولى - مطبعة مجلس
دائرة المعارف العثمانية - الهند .
- 17 - صحيح البخارى ، 1970 - الجزء الثالث - ص 178 - دار مطابع الشعب
القاهرة .
- 18 - د . عبد اللطيف البدرى ، 1978 - الطب عند العرب - منشورات وزارة الثقافة
والفنون - بغداد .
- 19 - العجلونى ، 1351 هـ . - كشف الخلفاء ومزيل الالباس - الجزء الاول ا ص
138 - الطبعة الثانية - دار احياء التراث العربى - بيروت .
- 20 - فيصل المولوى - 1975 - مجلة الشهاب - السنة التاسعة ، العدد 3 ، ص 16 -
لبنان .
- 21 - فيصل المولوى ، 1975 - مجلة الشهاب - السنة الثامنة ، العدد 23 - ص 16
لبنان .
- 22 - قدرى طوقان - 1967 - العلوم عند العرب والمسلمين - مطابع المكتب
الاسلامى - بيروت .
- 23 - كلوت بك - 1248 هـ . - القول الصريح فى علم التشريح - ترجمة العنجورى 0
- 24 - مجلة الاحكام العدلية - الطبعة الخامسة 1388 هـ . - 1968 م . مادة 21 -
22 - 17 - ص 18 .
- 25 - النووى 1344 هـ . المجموع - شرح المذهب - ص 266 ، الجزء الخامس - الناشر
زكريا على يوسف ، مطبعة الامام - القاهرة .

26 - يوسف الدجوى ، 1354 هـ - مجلة الازهر - المجلد السادس - ص 472 -
577 - 627 - مطبعة المعاهد الاسلامية - القاهرة .

27 - يوسف الدجوى - 1355 هـ - مجلة الازهر - المجلد السابع - ص 32 -
مطبعة المعاهد الاسلامية - القاهرة .

28 - Sir William Cecil Dampier 1961, History o Science Cambridge University Press, England.

29 - Douglas Guthrie, 1960, A history of Medicine, Thomas Nelson and Sons Ltd. London.

30 - Naguip Mahfouz, 1935, History of Medical Education Egypt, Cairo.

31 - George Sarton, 1959, A history of Science, Harvard University Press, U.S.A.

32 - Charles Singer, 1941, A Short History of Science, Oxford University Press, Oxford.

33 - Manfred Ullmann, 1978, Islamic Medicine, Edinburgh University Press.

34 - Colliers Encyclopedia, Vol. III, page 354, Under Anatomy, 1965, Crowell Collier Publishing Co.

35 - Encyclopedia Britanica, 1972, Vol. II page 585, Under Anatomy.

36 - Encyclopedia Judiaca, Jerusalem 1972, Vol. II page 30, Vol. III page 931.
Under Anatomy, Autopsy, Dissection Year Vol. II & III page 930, 931.